الفصل الرابع

أسس البناء السياسي وبعض القيم والقضايا ذات الصلة

- أولاً: نبذة عن الكتاب وسياق تأليفه وترجمته العربية.
- ثانياً: أسس البناء السياسي .
- ثالثاً: بعض القيم والأخلاقيات والحكم والفضائل.

openkan.com

obeikan.com

❖ أولاً: نبذة عن الكتاب وسياق تأليفه وترجمته العربية:

يعتبر كتاب كليلة ودمنة من أقدم ما قدم في القصص أو الحكي الشعبي الذي لا يزال حيا حتى اليوم وجاء في صورة حكايات على ألسنة الحيوانات. وقد استلهمها كبار الأدباء في أعمال أدبية خالدة ، قادرة على تجاوز كل الخطوط الحمراء لأية رقابة سياسية أو سلطة دينية على مر العصور. لأنها قادرة على كسر حواجز اللغة والمكان والزمان ، فانتقلت بعيدة عن كل قيد بين الأمم والشعوب.

وتحمل الحكايات الرمزية التعليمية مغزي أخلاقياً أو درساً اجتماعياً أو مضموناً سياسياً ، أو هدفاً تربوياً. ويلعب فيها الحيوان دوراً إنسانياً " (النجار، 1995 ، 187-188). وقال ابن المقفع في الكتاب أنه: جمع بين الحكمة واللهو ، فاختاره الحكماء لحكمته ، والأغرار للهوه ، والمتعلم من الأحداث مجتهد في حفظ ما صار إليه من أمر في صدره ولا يدري ما هو ، بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بمكتوب مخطوط.(من باب عرض الكتاب لابن المقفع ، 1997 ، 13- 14).

وقد افترق الكتاب باللغة العربية (18-21 بابا) عن النسخة بالنص الهندي (خمسة أبواب) والنص السرياني أو الفارسي (عشرة أبواب). وهذا يؤكد الدور الذي لعبه ابن المقفع وحق أن ينسب إليه الكتاب تأليفاً وإبداعاً ، ذلك لأن الأصول الأولى تدور وقائعها في بيئات وثنية تؤمن بتعدد الآلهة ، وأنها تتوجه بخطابها القصصي التعليمي إلى أمراء يفتقدون إلى الفطنة ورجاحة العقل ومعرفة علم تدبير الملك ، على حين أن النص العربي ، عربي البيئة إسلامي العقيدة حتى يتكيف النص ثقافيا ، فضلا عن كونه موجها بوظيفته التحريضية إلى ملوك يعقلون ولكنهم يبطشون ويستبدون ، إنما فوق ذلك كله ثمة سمات فارقة وجوهرية

منها أن للكتاب العربي أربعة أغراض مباشرة ، تربوية ، وعقلية ، وجمالية ، وأدبية وموجه للشعب على حين أن الكتاب الهندي له غرض تربوي أو تعليمي واحد ، وموجه للصفوة (النجار ، 1995 ، 195). ويؤكد فرانسوا دي بلوا أن :"تاريخ تأليف النسخة الأصلية غير معروف على وجه التحديد ، وكذا المؤلف إلا أن هناك أسماء مقترحة ، ومن المحتمل أن يكون تأليفه يدور حول عام ثلاثمائة ميلادية. لكن المتفق عليه أن هناك عدد من الأبواب تم إضافتها إلى الأصل الهندي للكتاب" *(Francois de Blois , 1990,12-2).*

إن معظم المشكلات والقضايا التي طرحها الكتاب هي مشكلات وقضايا ما زالت حية ومعاصرة. وإن كان ابن المقفع أراد نقدا سياسيا للنظام في حياته فمن المنطقي أن يكون دعواه هذه إلى كشف زيف نظام الحكم ونقده والدعوة إلى الحكمة ، فلم يكن يريد لنفسه الوصول لذلك. فكان إبداعه الفرد هدفا جماعيا واعيا وأراد أن يعيه الشعب بأساليب ووسائل مستترة بحكي أقاصيصه على ألسنة الحيوان. هذا ونرى أن حكايات كليلة ودمنة كتراث عربي وإنساني مازالت حاضرة عبر العصور، تستلهم مضامينها لنقد واقع سلبي على مستويات عدة وخاصة الواقع السياسي ، وكأنموذج لرسم تخطيط نظام سياسي علمي يستند إلى العلم والدين ، والأخلاق.

ووقع اختيار البحث على كتاب كليلة ودمنة فهو من أشهر الكتب الذي تردد ذكرها في أرجاء المعمورة ، ترجم إلى عديد من اللغات الغربية والشرقية. زاد وافي لكل من يلتمس الحكمة والسداد والتي أجراها الكاتب على ألسنة الطير والحيوان مما يبرئ الإنسان أحيانا من أي غدر أو طغيان. كتب بالهندية ونقل إلى الفارسية ، ثم إلى العربية في منتصف القرن الثاني الهجري على يد

عبد الله بن المقفع في عهد أبى جعفر المنصور وقال في ذلك طه حسين أحد مقدمي كتاب كليلة ودمنة في عام 1941 في هذا الكتاب حكمة الهند التي أفاضها روح الهند ونقلها عنهم جهد الفرس ، وصاغها في هذه الصورة العربية الرائعة ذوق العرب وتوارثتها الأجيال من بيئة إلى بيئة ، ومن شعب إلى شعب ، حتى جعلتها جزءا من التراث الإنساني ويضيف طه حسين: هذا الكتاب طرفه قيمة نهديها إلى قراء العربية فتمتع بها عقلهم وذوقهم وشعورهم وحسهم معا (حسين ، 1941 ، 6-9). كما يقول عبد الوهاب عزام عن كليلة ودمنة "أنه من الكتب القلائل التي نالت إقبال الناس وعنايتهم والذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارئ عبرة وإعجابا وسرورا (عزام ، 1941 ، 14). وعلى مدى الحكايات الطويلة وضحت لغة الكتاب والتي هي مستقلة عن الزمان والمكان مفهوما عالميا ، ليس فقط بالنسبة للبالغين ، بل وللطفل في وقت مبكر عن الأخلاقيات والقيم الأخلاقية، كالتوجه للتمايز بين الخير والشر ، والعدالة من عدمها وأهمية بعد النظر ومساوئ ضيق الأفق ، وعن التواضع ، والحكمة والغطرسة . (*Tymieniecka, A-T, 2011, 10*). والتي ستكشف عنها الدراسة التحليلية.

ومجمل ما في الكتاب من آراء وأفكار، بالإضافة إلى وضع الكتاب نفسه يشتمل على مضامين مختلفة من أهمها - السياسي ، والعلمي ، والثقافي – تؤسس لبناء الإنسان على تلك المضامين. حيث المعرفة والدراية العالمة والحث على التعلم والتفكير ، والاستقصاء وأهمية أن تصطبغ الدولة نفسها بصبغة العلم وتحض عليه وتشمل الحكماء والعلماء برعايتها ، وتقصي الإبداع والمبدعين في كل زمان ومكان.

والجدير بالذكر أن التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر لم يقض على الإبداع الشعبي والموروثات الثقافية ، بل على العكس يسهم في نشرها وتناقلها وترويجها جيلا بعد جيل ، بل وتقارب من خلالها الثقافات المختلفة.

هذا ويعبر ما أنفق من أموال للبحث عن كتاب كليلة ودمنة في خزائن الكتب بالهند (تلك المهمة التي كلف به الطبيب برزويه) عن الظرف الاجتماع تاريخي الذي كان أساس التغييرات الثقافية وأحد مظاهرها سيادة الكتابية والاعتراف بفضل العلم والمعرفة والحكمة آنذاك.

والحكاية المدخل لتأليف هذا الكتاب ، أن ملك جبار طاغية بالهند يتعظ بمواعظ حكيم ويحسن السلوك وتأتى الرغبة لدى الملك في اقتناء كتاب في الحكمة فيكلف الحكيم بوضعه وبعد مرور سنة تم تأليف الكتاب وأسماه كليلة ودمنة ، وأعجب الملك بالكتاب إعجابا كبيرا ويسأل الحكيم عن نوع مكافأته ويطلب الحكيم تدوين الكتاب وحفظه في بيت الحكمة.

علم ملك فارسي بأمر الكتاب فأمر برجل عاقل أديب يتقن اللغتين الهندية والفارسية فكان الطبيب "برزويه". والذي بذل كثير من المال والجهد لاستخراج الكتاب من خزائن الهند ، وأتاح الخازن على الكتب في الهند بأمر الملك استنساخ الكتاب وغيره من الكتب الثمينة. ويعود "برزويه" إلى بلاده بعد أداء مهمته. ويقرأ الكتاب في حضرة الملك على الأمراء والعلماء. ويأمر الملك بمكافآت سخية ومكانة عالية ويأبى "برزويه" ذلك وإنما يطلب تحرير وترجمة هذا الكتاب بشكل يتناسب مع جهده ومع قدر مكانة الكتاب ثم يودع الكتاب في خزائن الحكمة

(من مقدمة كليلة ودمنة، *1986* & *Gaulmin, G & Harris, J 2010*).
ثم تم ترجمة هذا المؤلف من خلال عبد الله بن المقفع إلى العربية وأضاف إليه.

❖ ثانياً: أسس البناء السياسي:

في إطار تلك الأسس يكشف التحليل عن العلاقة بين نظام الحكم والشعب وكذا طريقة إدارة الحاكم لشئون الدولة ، ودور البطانة والشعب في الشئون السياسية. **ونعرضها كما يلي:**

■ الأسس المتعلقة بالحاكم :

يمثل الحاكم أو كل من هو صاحب سلطة طرف أساسي في العمل السياسي في أي دولة ويرتبط في بنية تكوينه السياسي مجموعة من الأسس أو الشروط يجب أن يتسم بها وتكون جزء أصيل في تكوينه بالتربية. ومن خلال تحليل كتاب كليلة ودمنة **كان من أهم هذه الأسس ما يلي:**

1- **وعي الحاكم واستنارته:**

من أهم ما يقيم بناء دولة ما ويستقيم فيها حال المواطنين استنارة حاكمها من خلال وعيه بأمور الحكم وتسيير العمل السياسي ، ووعيه بدوره كحاكم. كما يمثل تقديره لأهمية العلم والأدب ، عامل مهم في بناء دولته وتحقيق النفع لشعبه والسلامة من عدوه. وقد كان كتاب كليلة ودمنة من كتب التراث التي لعبت دورا كبيرا في إبراز هذا الأمر بسبل متعددة تتفق مع السياق التاريخي آنذاك. ومن تلك الإشارات في هذا الأمر ما جاء في باب توجيه "كسري لأنوشروان برزويه "لبلاد الهند. (كليلة ودمنة ، 1986 ، 14):

"كان أنوشروان كسرى من أفضل ملوك فارس علما وحكما ورأيا ، وأكثرهم بحثا عن مكامن العلم والأدب ، وأحرصهم على طلب الخير ، وأسرعهم إلى اقتناء ما يزينه الحكمة، وفي معرفة الخير من الشر ، والضر من النفع ، والصديق من العدو. ولم يكن يعرف ذلك إلا بعون الله خلفاءه وساسة عباده وبلاده لإقامة رعيته وأموره... حتى استوثقت له الرعية .."

ويضيف إلى استنارة الحاكم حسن اختياره للقائمين على حال الشعب وقضاء حوائجه في كافة المجالات وهم أهل خبرة وثقة وعلم وأمانة. وفي هذا الشأن ينبئنا الكتاب عن حسن اختيار "أنوشروان" للطبيب العالم "برزويه" ليقوم بمهمة الحصول على هذ الكتاب وهذا أيضا يعكس سمات من تم اختياره بوعي القائم على الاختيار **كما يلي** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 16-19):

"إنا قد انتخبناك لموضع حاجتنا ، وتفرسنا فيك الخير. وأملنا فيك أن تكون على ما أردنا من إصابة هذه الحاجة.. ، لما علمنا عنك من الاجتهاد في العلم والأدب وحرصك على طلبهما".

لذا من سمات الحاكم التي يطالعنا بها الكتاب ، والتي لا تنبغي إلا لحاكم أو ذي سلطة فطن وحكيم ، اختاره الشعب لقيادته السياسية باقتدار، إذ يترتب عليه صلاح أو هلاك البلاد **ما يلي** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 172 -173):

" يقال: من غالب الملك الحازم الأريب المصنوع له الذي لا تبطره السراء ولا يدهشه الخوف.. ؛ ثم لا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم ... ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والعجلة والأناة ، والناظر فى يومه وغده وعواقب أعماله..فإن الملك إذا

لم يكن في مملكته قرة عين رعيته ، فمثله مثل ذات الضرع الضخم إذا وضعت ولدها لم يكن فيه ما يكفيه".

ومن تلك السمات التي أسفر عنها التحليل في مواطن متعددة:

- حسن اختيار المقربين (البطانة).
- الوعي بمن يصاحب ويفضي إليه بالأسرار.
- الأخذ بالنصيحة من أولي العلم والفضل والحكمة ومخالطتهم.
- القدرة على إدارة العمل والأزمات كقائد ، على المستوى السياسي والاقتصادي والتربوي.
- لا يقلل من شأن صغير خاصة ذو المروءة.
- نبذ واستبعاد المحسوبية والمحاباة والمعاقبة عليها.
- التثبت من الوشايات والإشاعات قبل اتخاذ القرارات.
- الوعي بمواطن القوة والضعف فيمن حوله.
- الأخذ بمبدأ الاستحقاق ، والثواب والعقاب.
- الحرص على تفقد أحوال الرعية باستمرار.

"كان يقال: أمران لا ينبغي لأحد ، وإن كان ملكا ، أن يجعل شيئا منهما في غير مكانه وأن ينزله غير منزلته: الرجال والحلية ، فإنه يعد جاهلا من عقد على رأسه حلية الرجلين وعلى رجليه حلية الرأس وإنما يستخرج ما عند الرجال ولاتهم ، وما عند الجنود قاداتهم وما في الدين علماؤه . والوالي حقيقة ألا يحتقر مروءة وجدها عند أحد، إن السلطان لا يقرب الرجال لقرب أبائهم ولا يباعدهم لبعدهم ثم عليهم (الملوك) ألا يتركوا محسنا بغير جزاء ، ولا يقروا مسيئا ولا عاجزا على العجز والإساءة ؛ فإنهم إن

ضيعوا ذلك وتهاونوا به تهاون المحسن ، واجترأ المسيء ، ففسد الأمر وضاع العمل " (كليلة ودمنة ، 1986 ، 53 ، 246).

وأنه قد قيل: "إن خير السلطان من أشبه النسور حولها الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور...وإن الريح الشديدة لا تضر بصغير الحشيش ، ولا تحطمه ، وهي تحطم الشجر " (كليلة ودمنة ، 1986 ،57، 83).

2- ثقة الحاكم في العلماء والحكماء والاستعانة بهم والأخذ برأيهم في تسيير أمور الدولة:

إن ثقة الحاكم بأن العلم والحكمة سبيل لرفعة بلده وتقدم شعبة ؛ يجعله ينقب عن العلماء والحكماء ويستعين بهم ويرفع مكانتهم ويثق بهم. كما أن العلماء عندما يجدون الحاكم حريص على كل معرفة وعلم وحكمة من شأنها تعود بالنفع على البلاد فإنهم يكونون خير معين له وخير من يكتم الأسرار. فعن طريق العلم والعلماء تقدمت الأمم وكم من قرارات سياسية ساعدت وفتحت الأبواب أمام العلماء لوضع بلدهم في مقدمة الأمم بالعلم والحكمة.

فالحاكم الفطن يستعين بالعلم والحكمة في تسيير أمور دولته ويأخذ من المعرفة ما يعينه ويعين شعبه على الارتقاء بحياتهم. وهكذا نرى ملك فارس "أنوشروان" يرسل الطبيب العالم "برزويه" إلى بلاد الهند بالعطايا والهدايا وما يعينه على استخلاص كتاب كليلة ودمنة وحكمه الهند. وهنا نلاحظ حسن اختيار الحاكم لمن يقوم بتلك المهمة. وكذا حرص الحاكم على اقتراف العلم والحكمة أينما وجد ، وثقته به في تقدم بلاده. وتلك الثقة والصلة على درجة كبيرة من الأهمية إذ

تـــوفر المنـــاخ الملائـــم للعلمـــاء في عملـــهم العلمـــي. **فيقـــول الملـــك** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 16 ، 150):

"نحن مرسلوك إلى بلاد الهند لما بلغنا عن كتاب عند ملوكها وعلمائها قد ألفته العلماء ، وهذبته الحكماء ، وأتقنه الفطناء ، ليس في خزائن الملوك مثله ـ يستعين به على عظمائهم ملوك الهند. فتعزم على المسير بسببه فتستفيده برفق وتؤده وتلطف..."وأيضًا : "...إن الملك المشاور المؤامر ، يصيب فى مؤامرته ذوى العقول من نصحائه ، من الظفر، ما لا يصيبه بالجنود والزحف وكثرة العدد.."

3- حسن خلق الحاكم منجاة له وشعبه من الذل:

لقد طالعنا التاريخ الإسلامي بأمثلة ونماذج لحكام وأمراء ، وولاة أمر المسلمين تحلوا بحسن الخلق وحسن المعاملة للمواطنين فاستتب لهم الأمر، وتألقت دولهم. حيث تكون العلاقة بين الحاكم والمواطنين بعيده عن المهانة والاستعلاء وغيرها من سمات لمسناها وعشناها في ظل استبداد بعض الأنظمة البائدة. **ويقدم لنا الكتاب بعض السمات الخلقية والعامة للملك (الحاكم) كما يلي** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 39):

"...وإن كان الله تعالى قد جعل الملك سعيد الأمر ، ميمون النقية ، حازم الرأي بعيد المقدرة ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ، عدلا برا جوادا صادقا شكورا رحب الذراع متفقدا للحقوق ، مواظبا فهما حليما رؤفا رحيما ، عالما بالناس ، محبا لخير أهله شديدا على الظلمة موسعا على رعيته ".

4- التعلم من الأخطاء لتصحيح المسار بسبل مشروعة دون احتيال:

لا يقلل من شأن الإنسان أن يقر بالخطأ ويتعلم من أخطائه وتجاربه وتجارب الآخرين ، لتقويم السلبيات وتصحيح المسارات. وجدير أن يفعل هذا الحاكم الذي يتولى أمور عظام وشئون عضال فهو مسئول عن كامل شئون الرعية وعليه يقوم إصلاح أمرها... وهذا أيضا جدير بكل إنسان خلوق متواضع وفطن.

وفي الحوار الذي صار بين كليلة ودمنة بعد أن كشف الأسد عن حيل دمنة في الفتك بالثور وتزييف وعي الملك (كليلة ودمنة ، 1986 ، 62):

" قال دمنة... فإن خلالا ثلاثا المرء حقيق بالتفكر فيها والاحتيال لها: ما يمضي من الضر والنفع ، بأن يحترس من الضر الذي أصابه لئلا يعود إليه ، ويرفق في المحبوب طلب مراجعته. وما هو مقيم فيه من ذلك ، فيستوثق مما يوافقه ، ويهرب مما يخالفه وما هو منتظر له ، فيطلب المرجو ويلتجئ من المحذور بالاستعداد لما يرجو أو يخاف".

5- الوعي بمكر وحيل العدو ومقاومته:

من أهم أسس بناء الإنسان خاصة (الساسة والقادة) أن يكون على وعي بمكر وحيل العدو حتى ولو كان ذا عقل ورأي ومواجهته بحسن استخدام الحيل لأن بعض الحيل يدمر صاحبه ، والوعي بأن القوة الحقيقية هي قوة الرأي والبصيرة.

فمن خلال مثل العلجوم والسرطان ، باب الأسد والثور **يطالعنا الكتاب بهذا**. (كليلة ودمنة ، 1986 ، 65).

" فقد كانت هناك جماعة من السمك تخشى الصيادين وأشار عليهن سرطان بمشورة أن العجلوم هو صاحب رأي ومشورة... فأشار عليهن بأن ينقلهن إلى أحد التلال حيث لا طاقة لهن بمقاتله الصيادين... والتجأ إليه أيضا السرطان فحمله حيث التل فوجد

عظام السمك... فعرف أنه هو الذي أكلهن ... فأهوى بكلاليبه على عنق العلجوم فعصره، فوقع إلى الأرض ميتا "

وفى ذلك أيضاً (ص 149-150) يقال:

"قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك بها ، ويضعف ويذل لها جندك...فإن العاقل لا يأمن عدوه على كل حال".

وهذا يؤكد لنا أن الإنسان عليه استخدام الدهاء والحيل للتخلص من الأعداء أو اتقاء الفتن أو أي أمر عسير ولكن في الخير وتحقيق صالح الفرد والمجتمع. كالقضاء على ظلم الظالمين (بحيلة الإيقاع بين الظلمة للتخلص منهم) من ثم استخدام الحيل لمقاومة الظلم ودفع الأذى ، وألا تستخدم في الغدر واللؤم والأذى بمن ليسوا أهلا لذلك.

هذا وهناك شروط يجب أن تتوفر فيمن يعي مكر العدو ، ويدبر للاحتيال عليه ، بأن يكون ذو عقل ورأي وحكمه وفطن بمواقعه الأعداء. وفي هذا يقول دمنة في أمر الثور شنزبه: (كليلة ودمنة ، 1986 ، 66)

".إن الاحتيال ربما أزى ما لا تجزي القوة. قال كليلة: إن شنزبه لو لم يجمع مع شدته رأيا ، كان كذلك ، ولكنه قد أعطى ، مع ما ذكرت ، فضلا نبيلا وقسما جسيماً ".

ويتضح مما سبق من أن ابن المقفع يبدأ كل فصل من كليلة ودمنة مع موضوع الإطار أو القصة التوجيهية التي تشير الجوانب الأساسية للقيادة :

- أنه سوف يتم الكشف عن الحقيقة ، إن عاجلا أو آجلا.
- التعاون بين الأصدقاء هو أمر حيوي لبقائهم وتأكيد وجودهم
- القوة الذهنية والحيل في الحروب هي أقوى من قوة السلاح.

- يجب على المرء أن يكون ذا فضل مع الآخرين خاصة مع الأصدقاء ، وألا يخونهم.
- ينبغي للمرء أن يكون حذرا من الأحكام المتسرعة. وسوف تكشف عنه الأسس اللاحقة.

6- وعي الحاكم باللئيم وكشف الزيف في المقربين وأعمالهم رغم بلاغة منطقهم وحبكة رواياتهم:

يظل الإنسان الحسود الحاقد على نجاحات الغير- عبر العصور- محاولاً زرع الفتن وتأليب ذي السلطة على من هم أعلى منه مرتبة ومقاما وعلما لدى الحاكم أو غيره ، ولا يتوانى عن إحداث الوقيعة بينه وبين أصحاب السلطة. وهذه دعوة من ابن المقفع في العصر العباسي الأول وفي عهد أبي جعفر المنصور إلى الوعي بهؤلاء الفئة التي تستخدم البلاغة وتلفيق الأحداث... وتطبيق وتزيين الحق الذي يراد به الباطل ، ويوجه هذا الحديث خاصة لكل ذي السلطة حتى لا يقع في فخاخ المقربين المنتفعين دون تثبت وتحقق من الأمور.

فيقول دمنة بلؤمه وبلاغته المعهودة للأسد (الملك) في باب الأسد والثور ، حتى يوقع بينه وبين الثور "شنزبه" ويتخلص منه (كليلة ودمنة ، 1986 ، 69-71):.

فلم يبق شئ يسمو إليه إلا مكانك ، فإن اللئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا ، حتي يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل ، فإذا فعل ذلك به ، التمس ما فوقها بالغش والخيانة "...ويقول دمنة: "إذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساوه في الرأي والمنزلة والهيبة والمال والتبع ، فليصرعه ، فإنه إن لم يفعل كان هو المصروع ".

7- **التبصر والتنبؤ بالأمور للنجاة من سوء العواقب:**

وهذا الأساس يتطلب في الإنسان وخاصة الحاكم أن يتسم بالحكمة والحزم وبعد النظر ونفاذ البصيرة ، وإن كان لا يمتلك أحد هذه السمات فعليه بمشورة أهل الرأي والعلم. فالتخطيط للمستقبل المؤسس على العلم غالبا ينجى من سوء العواقب خاصة إذا أعدت العدة والاستعداد لما هو آت. والتربية بصفتها عمل مستقبلي ومستمر تقوم بهذا العمل منذ التنشئة الأولي للإنسان. والحاكم الذي يبغي مصلحة وبقاء دولته وشعبه ينشغل في هذا ويعمل له ولا يقف عاجزا مترددا أمام القضايا المصيرية التي تحدد وجود ومكانة بلده. فمن باب الأسد والثور يقول دمنة للأسد ناصحا (كليلة ودمنة ، 1986 ، 69):

"الرجال ثلاثة: حازمان وعاجز. فأحد الحازمين من إذا نزل به البلاء لم يدهش، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم يعي برأيه وحيلته أو مكيدته التي به يرجو المخرج والنجاة. وأحزم من هذا ، المتقدم ذو العدة ، الذي يعرف الأمر مبتدأ قبل وقوعه ، فيعظمه إعظامه ، ويحتال له حيلته كأنه قد لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يبتلي به ، ... ، أما العاجز فهو الذي لا يزال في التردد وتمني الأماني حتي يهلك ".

8- **التثبت بالحجج والبراهين إحقاقا للحق ورفع الظلم وعدم الأخذ بالشبهة:**

ينبغي للحاكم أو من هو صاحب سلطة ، التثبت لاستبانه الأمور ، خاصة إذا كان هناك مكائد ومكر من فرد على آخر أو فرقة على أخرى ، ودون ذلك فإنه يفتقد للحكمة والعدل والعلم. ورجل السياسة وخاصة الحاكم أو من في يده مقاليد سلطة ما إذا لم يتحقق من الأمر كله ضاعت المظالم وانتشر الفساد في المجتمع.

والتربية إذ تقوم على بناء الإنسان ، فإن أحد أسس هذا البناء السياسي الذي تعد فيه الإنسان حاكم أو محكوم لحسن تدبير الأمور وتنشئته على الحرية في الاختيار وممارسة الديمقراطية والوعي بالقضايا السياسية ، والقدرة على المشاركة وغيرها. إلا أن التثبت والتحقق في الأمور خاصة المصيرية للفرد والمجتمع واجب على كل ذي سلطة قبل اتخاذ القرار. وهذا يدل على الحكمة ونفاذ الرؤية والرفق وإحقاق الحق ودرء المفاسد ورفع المظالم.

تقول الأم ناصحة لإبنها "الأسد" في أمر التثبت من قتل ابن آوى ، من باب الأسد وابن آوى (كليلة ودمنة ، 1986 ، 252): "قد عجلت يا بني ، وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة ، والأناة والتثبت...وليس أحد أحوج إلى التؤدة والتأني من الملوك.."

وفي ضرورة التثبت أيضا وعدم الأخذ بالشبهة يطالعنا الكتاب في قول دمنة وهو يلتمس مخرجا لما أوقع نفسه فيه من تأليب الملك على الثور (كليلة ودمنة ، 1986 ، 106-107):

"إن الذي يعمل بالشبهة ولا يتئد عندها ولا يثبت فيها ، يكون قد صدق ما ينبغي أن يشك فيه ، وكذب ما ينبغي أن يصدقه... إن من استخرج النار من الحجر ـ وهي كامنة فيه ـ كالقادر أن يستخرج بالفحص وطول البحث ما خفي عليه من الأمور". وأيضا من باب الناسك وابن عرس ص185-187"...قد كان له ابن عرس (الناسك) قد رباه فتركه الرجل عند ابنه ، وكان مؤدبا معلما ، وذهب إلى الملك. وكان فى بيته جحر أسود ، فخرج يريد الغلام ، فوثب عليه ابن عرس فقطعه قطعا... وأقبل الناسك إلى منزله...فلما نظرإليه الناسك متلطخا بالدم سلب عقله ، ولم يظن إلا أنه قد قتل ولده ، فلم يتأن ولم يتثبت فى أمره ، فضرب ابن عرس فقتله. ودخل منزله فرأى الغلام حيا

والأسود مقتولا ، فأقبل يدق صدره ويلطم وجهه...وقال: هذا جزاء من يعمل بالعجلة ولا يتثبت".

9- توخي الحوار والمكاشفة بين الحاكم والشعب لاستتباب العدل والاستقرار بوعي كل منهما بذاته ومكانته بالنسبة للآخر:

يطالعنا ابن المقفع في حوار حكيم وفي أحد المشاهد المكرورة بين الحاكم أو أي إنسان ذي سلطة وبين المقربين إليه والمسئولين منه. حيث يدفع بعضهم بعضا للوصول إلى مكانة أكبر في قلب الحاكم. فيستعين الحسود اللؤم منهم بالحيل لتأليب الملك ضد من يقربهم لعلمهم ورقيهم. وفي إطار تلك القضية تتكشف عديد من قضايا الفساد التي تدعو الحاكم والشعب في آن إلى الحذر، والحوار، والمحاسبة وإرساء العدالة بين ، باتخاذ الحوار سبيلا لذلك والوعي بالآخر وما ينطوي عليه فكره وفعله مع الآناه والتروي في إصدار الأحكام.

فيقول دمنة وهو محاولا الدفاع عن نفسه أمام الأسد وأم الأسد في حوار مكاشفة (كليلة ودمنة ، 1986 ، 108-110):

"لا أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه ، ولا أولى بنصحها وإظهار عذرها منه... وقد قالت العلماء: إن المستهجن لنفسه المبغض لها ، لغيرها أشنأ وأقلع ولمن سواها أغش وأرفض... ومن بباب الملك لثقتهم بلينه وطمأنينتهم إلى كرمه ـ لا يقفون ذلك فيما وافق الحق أو خالفه ، لأنه لا يغير عليهم ولا يدعهم ولا يزجرهم... إن الذي يركب المنكر لا يحب لأحد خيرا ولا يدفع عنه مكروها. فقال الأسد فإني ناظر في أمره وفاحص عنه، وغير عاجل عليه ، ولا اشتري ضر نفسي بإتباع هوى غيري".

10- فضل الاستعانة بالقضاء العادل في تحري الصدق والحق والاستقرار:

إن أي بقعة من الأرض أرسى فيها الإنسان - من خلال القضاء العادل - العدل وتحري العدالة ، فإنه قد وضع أساسا مهما من أسس البناء والحرية والاستحقاق والنماء بين بني البشر على هذه الأرض. فعلى الحاكم أن يسعى في تحقيق ذلك بتحري صلاح القاضي وتحرره من أية قيود تؤثر على عمله من ثم حسن اختياره.

وفي ذلك يطالعنا كتاب كليلة ودمنة في هذا الأمر بما يلي (كليلة ودمنة ، 1986 ، 106-113 ، 156):

"... ويكون من يوليه إياه ذا أمانة وإسلام ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يكون عنده محاباة لأحد ، ويرفع إليه عذري وما يسمع من غيري فينظر فيه ولا يأخذه فيه أقاويل البغاة على ، الحسدة لدي...آمركا ألا تطلبا إلا الحق ؛ فإن طالب الحق هو الذى يفلح وإن قضي عليه ، وطالب الباطل مخصوم وإن قضي له.."

هذا ويتسم القضاة ببعض السمات في ممارستهم لعملهم وهو كما جاء بهذا المؤلف (كليلة ودمنة ، 1986 ، 120-121):

" القضاة لا تقضي بظنونها ، وإن حقا على الوالي أن يجازي المرؤ بصلاحه ، ويعرفه له ، لأنه أهل لكل خير أتى إليه ، وأن ينكل بالمجرم عن إساءته ويعذبه ويعاقبه عليها ، ليزداد أهل الخير في الصلاح رغبة ، وأهل الجرائم عن الإساءة نزوعا...".

11- توخي الأخلاق في أمور السياسة:

يرتبط العامل السياسي بالعامل الثقافي والأخلاقي، فلا يتصور العمل السياسي في فراغ ، بل يمارس في أطر ثقافية ومجتمعية وسياق تاريخي معين.

بالتالي فممارسة السياسة لا تنفك من الأطر القيمية والأخلاقية والمعرفية وغيرها في أي أمة. فليس هناك ممارسة للعمل السياسي في المطلق ، من هنا يرتبط ممارسة السياسة بالأخلاق. ومكمن هذه الأخلاق التي يطالعنا بها كتاب كليلة ودمنة جزاء من يعمل لأجل نفسه وحمايتها بالطعن على الآخرين وهلاكهم ، فقد قتل الملك (الأسد) دمنة الذي استخدم منطق الكلام لطعن غيره (الثور) ليحمي نفسه (وهو مذنب) حيث اعتنق مبدأ (احمي نفسك واطعن غيرك) فابتغى منفعه نفسه في هلاك غيره ، فكانت عاقبته القتل. وهنا أراد الكتاب تحذير كل متبع لهذا السبيل بأنه هالك لا محالة ، **وقالها على لسان الفيلسوف الذي وجهها للحاكم (الملك) كما يلي** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 124):

"قال الفيلسوف للملك: فيلنظر أهل التفكر في الأمور في هذا وأشباهه ، وليعلموا أنه من يلتمس منفعه نفسه بهلاك غيره ـ ظالما له بخديعه أو مكر أو خلابة ـ فإنه غير ناج من وبال ذلك عليه وعاقبته ومغبته ، وأنه مكافأ به ومجزي بما عمل عاجلا وآجلا ، وصائر إلى البوار على كل حال".

12- درء الفتن والذرائع ومعاقبة أصحابها والوعي بمخططاتهم:

إن العمل السياسي خاصة وغيره من أعمال في كافة المجالات لا ينفك من الأخطار والفتن والذرائع ممن هم أصحاب مصالح في ذلك ، حيث الوقيعة تدر عليهم مكاسب مادية ومآرب أخرى تمكنهم من الوصول للسلطة ولو بالتأثير على قراراتها. لذا فالحاكم أو أي صاحب للسلطة ينبغي له الوعي بذلك وهذا يعود بنا إلى سمات الحاكم... وسمات المقربين. **ومن الأمور التي يجب الوعي بخطورتها في إطار هذه النقطة:**

أ- **اجتماع الظلم والمكر لإيذاء الأبرياء والتخلص منهم**: من باب الأسد والثور:

"... إنه لو اجتمع المكر والظلم على البرئ الصحيح كانوا خلفاء أن يهلكوه ، وإن كانوا ضعفاء وكان قويا ، كما أهلك الذئب والغراب وابن آوي الجمل ، حين اجتمعوا عليه بالمكر والخلابة..." (كليلة ودمنة ، 1986 ، 79).

ب- **الغدر والحيلة الذي يراد بها الباطل**: فيستخدم الخئون الغادر الحيل فيزين في أعين المغدور به ما يفعل ويريه أنه الحق بمنطق الكلام ليوقعه في الشر والتخلص منه بظلم وغدر، فينبئنا ابن المقفع عن كثير من الحيل على ألسنة الحيوانات: كتلك الحيلة السابقة التي استخدمها الغراب بالاتفاق مع ابن آوى والذئب ، في الإجهاز على الجمل وأكله مع الأسد ، حيث مرض الأسد وهزل وجاع ولم يكن ليأكل أحد منهم لسوء لحمهم فاحتالوا على الجمل حتي أكلوه جميعا. وهو الذي آمنه الأسد من قبل (كليلة ودمنة ، 1986 ، 80-83). فاجتمع الظلم والمكر وحيل الشر على هلاك برئ **وهذا يتطلب**:

- مقاومة الظلم والغدر ، وكشف الزيف.
- التبصر والوعي بإمكانات الغادر لحسن منازلته والقضاء عليه.
- الانصات إلى كل نافع من القول والعمل وخاصة من الأصدقاء.
- مشروعية وجوب اللجوء إلى أصحاب الرأي ، للاستعانة بهم رفع المظالم وردع الظالمين.

ج- الوعي بسياسة "فرق تسد" من خلال إثارة الفتن والمكر ، وإثارة الهوى في النفس:

فقد احتال دمنة عند الملك لتأليبه على الثور وحبك شره وحيله ، بالأمثلة والبراهين (حق يراد به باطل) حتى أحدث الوقيعة بين الملك ورفيقه. وإذا كان بعض الحسدة والمقربين إلى صاحب السلطة يستخدمون نفس المسلك ففيه هلاك

للجميع وتفرقه وحدة الوطن وفيه غير صالح للبلاد وللحاكم ولكل قائد أو صاحب سلطة (كليلة ودمنة ، 1986 ، 87-88):

يقول دمنة للملك تأليبا على شنزبه: "ما صاحب السلطان ـ فيما يتخوف من بوادره عندما يرقى في أهل البغي إليه ـ إلا كمجاور الحية في بيته ، والأسد في عرينه ، والسابح في الماء الذي فيه التماسيح... فاقتتلا قتالا شديدا سالت منه الدماء بينهما ، فلما رأي كليلة ذلك قال لدمنة: أيها الفسل! انظر إلى حيلتك ، ما أنكدها وأوخم عاقبتها! فإنك قد فضحت الأسد ، وأهلكت شنزبه ، وفرقت كلمة الجند... أو لست تعلم أن أعجز الرأي ما كلف صاحبه القتال ، وهو عنه غني؟".

13- ترسيخ مبدأ الثواب والعقاب بمعاقبة الواشي المحتال ومعفا عنه وإعطاء كل ذي حق حقه:

من المبادئ المهمة الصالحة لكل زمان ومكان ، أن يكون هناك نظام وآليات للثواب والعقاب ، فيكون لكل مخطئ عقاب ولكل مصيب جزاء على ما فعل ، وإلا ضاعت الحقوق واستوحشت الحياة وكثر فيها الفساد وتاه فيها الحق وضاعت المبادئ والأخلاق. فهو مبدأ لتثبيت الحق ودرء الباطل ومحاولة تغيير المخطئ وتوعيته بالصواب والتربية في بنائها للإنسان وتشكيله في كافة جوانب البناء تستطيع أن تقدم أمثلة عديدة في تحقيق هذا المبدأ وإحداث عديد من التغيرات الإيجابية. وهذا يدعو صاحب أي سلطة أو قائد إلى تطبيق هذا المبدأ بالوعي **بمفارقات ما يلي:**

- التوبة عن الذنب والخطأ أو الإصرار عليه ، فالأول سلامة وصدق وتحرر وإيمان ، والثاني ذنب واستفحال للأخطاء وقيد وإعاقة للعمل.

- حسن اختيار المقربون أو الوقوع في شراك بطانة السوء. الأولى منجاة بحسن الانتفاع برأيهم وقربهم ، والثانية بسوء طبعهم ومآل رأيهم إلى الوقوع في الشبهات والكذب وسوء الخلق ونشر الفساد.
- حفظ الأسرار وكتمانها أو إفشاء الأسرار وإذاعتها الأول يؤول إلى السلامة والنجاة إلا في كتمان شهادة تبرئ مظلوم ، والثاني يفضي إلى الخراب والدمار الذي يؤدي إلى الفتن وانتشار المفاسد.
- الحسد على مكانة الآخرين أو التقرب بصدق وإيمان لمن هم أفضل منا في أمر ما لنتعلم منهم دون انتقاص من شأن الذات.
- الحكم السريع وقت الغضب أو التحقق والتثبت من الأمور (وشاية . ظلم) قبل الحكم عليها لحقن دماء ودرء الظلم ورفع المظالم ومعاقبة الظالمين.
- المشورة والإجماع على الأمر بسلامته ودفع الشك أم الأخذ برأي الفرد"المركزية في الحكم".

وفي تلك الأمور ترسيخا لمبدأ الثواب والعقاب الذي أراد ابن المقفع أن يدعمه ويتعلمه الحاكم والشعب ، يقول في باب الفحص عن أمر دمنة (كليلة ودمنة ، 1986 ، 100-101):

قال الأسد: "... وإني لنادم على ما كان مني ، متلهف له موجع ؛ وما أشكل على الرأي أنه برئ مما لطخ به غير متهم ، ولكن قتل لتحميل الأشرار وبغيهم وزخرفهم الكلام الكاذب...قالت أم الأسد حدثني الأمين الصدوق عندك أن دمنة لم يركب من شنزبه الذي ركب من تحميله إياك عليه ، إلا لحسده إياه على منزلته منك ، ومكانه عندك. فقال الأسد: ومن خبرك بهذا ، فقالت أم الأسد: قد استحفظنيه ، والمستكتم

مؤتمن ، ومن أفشي سرا أستودعه فقد خان أمانته... ولكن ليس هذا مما ينبغي أن يكتم... ولا سيما في دم المظلوم".

■ أسس مرتبطة بالمقربون (البطانة) لدى القيادة السياسية :

لا يخلو أي نظام سياسي تنتهجه أية دولة من جوانب سلبية ، لكن يتوقف بشكل كبير تسيير أمورالدولة بشكل رشيد أو العكس على سمات القيادة السياسية (الحاكم) والأسس والقناعات التي يسير بها نظام حكمه. وكذا طريقة اختياره للمقربين إليه في تدبير أمور الدولة وقد قدم كتاب كليلة ودمنة عديد من التحذيرات التي تنبىء بالأسس والقواعد في هذا الشأن منها ما يلي:

1- الاحتماء والتعلق بالبطانة السيئة من مفسدات الحكم والحاكم وتنبىء بزواله:

يتسم بعض أصحاب السلطة بالتعلق بمن هم أدنى منهم ومن يخشونهم بهوى وهذا يعني انخفاض همة صاحب هذه السلطة وضعف ثقته بإمكاناته وإتباعه الهوى في علاقاته. وهذا لا يصح لحاكم أو قائد أو معلم في تعامله مع من يرعى. ففي حديث صار بين كليلة وأخيه دمنة ناصحا له من مغبة التقرب إلى أصحاب السلطة لنيل المكاسب **قال كليلة** (كليلة ودمنة ، 1986 ، 49، 252):

"إن السلطان لا يتوخى بكرامته أفضل من بحضرته ، ولكنه يؤثر بذلك من قرب منه ، ويقال إن مثل السلطان في ذلك كالكرم الذي لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه...واعلم أن الملوك إذا وكلوا إلى غيرهم ما ينبغي لهم مباشرته بنفوسهم ، وألزموا نفوسهم ما ينبغي لهم تقويضه إلى الكفاة ، ضاعت أمورهم ودعوا الفساد إلى أنفسهم".

وهذا يعبر عن وهن العلاقة بين صاحب السلطة وبين من هم أدنى منه ويعطي فرصة لفساد حكمه وتقويض سلطته لغلبة الهوى على العقل في علاقاته.

2- من الطباع السيئة لطالبي التقرب إلى أصحاب السلطة "تملق السلطة":

يسميهم التاريخ السياسي المتسلقون والوصوليون ، ومنهجهم لهذا من أخطر الأمور التي تقوض هيبة وسلطة أي سلطان بإتباعه الهوى ، وهذا الإتباع إنما يأتي من بطانته السيئة التي تزين له ما يتوافق مع هواه وتشجعه عليه فيلتبس الحق بالباطل وتسير الأمور في غير مسارها الصحيح ويصير حال الرعية إلى التخلف وتصير السلطة إلى الفناء. والواقع المصري والعربي دليل وشاهد على ذلك في ظل الثورات المتتالية فى العامين 2012،2011م. ومن سماتهم التى قدمها كتاب كليلة ودمنة ما يلي: (كليلة ودمنة ، 1986 ، 255):

"...فمن عرف بالشرة ولؤم العهد ، وقلة الوفاء والشكر ، والبعد من الورع والرحمة، والجحود لثواب الآخرة وعقابها، والحسد وإفراط الشره والحرص ، والسرعة إلى سوء الظن والقطيعة..فقطعة أحزم للرأى"

ومن الأساليب التي يتبعها متملق السلطة:

- إتباع هوى السلطان.
- التبعية والتدني له والخنوع تجاه آرائه.
- تزييف وتزيين الأمور على حسب ما يهوى.
- تحقيق مآرب شخصية مادية وسلطوية.

وقد أبرز ذلك دمنه لأخيه وهو يحاوره في هذا الشأن :

"قد قيل: لا يواظب أحد على باب السلطان ويطرح الأنفة ، ويظهر البشر ، ويكظم الغيظ ، ويرفق في أمره إلا خلص إلى حاجته منه. قال كليلة: ... فما رفقك... قال دمنة: لو قد دنوت من الأسد وعرفت أخلاقه ، رفقت في متابعته وقلة الخلاف عليه ، ثم انحططت في هواه ، فإذا أراد أمرا هو في نفسه صواب ، زينته له وشجعته عليه ، ... فإن الرجلا الأريب الدهي لو شاء أن يبطل الحق ويحق الباطل أحيانا لفعل" (كليلة ودمنة، 1986 ، 49-50).

ما سبق يشير إلى الأساليب التي تتبعها البطانة السيئة إلى قلب السلطان وهي حيل قديمة وحديثة يتبعها كل ذو أطماع وصاحب مآرب في سلطة دون وجه حق. وهذا يشير أيضا إلى أمر مهم يتكرر في كل زمان ومكان وهو كيف يختار الحاكم أو أي إنسان منوط بمهام عظيمة تخص جماعة من الناس أو شعب بأكمله - بطانته - أو ما يمكن تسميتهم بالمقربين. والتاريخ يقدم لنا دروسا عظيمة في هذا الشأن سواء من إتخذ بطانته من الطامعين الحاقدين متملقي السلطة أم من اتخذ من الخبراء والعلماء ، والحكماء والعمل بآراهم وتقريبهم إلى مجالس الحكم ، فازدهرت البلاد وصلح حالها.

3- الحقد والضغينة ، وإتباع الهوى تقربا للحاكم؛ يجلب الأذى للنفس ومضيعة لمصالح البلاد.

جدير بالعمل السياسي أن يقترن بالعقل والأخلاق ، فإذا لم يكن كذلك ، فإن الأمة تفتقد للدعائم وللركائز القوية التي ينبني عليها نظام الحكم القويم. وتكثر الأطماع ويسود الفساد ويكثر المحاسيب وتضييع هيبة الدولة ومكانتها. والأمر

يعول كثيرا على مدى حكمة وتعقل وفطنة ووعي القيادة السياسية أو أية قيادة في كافة مجالات الحياة سواء مدير أو قائد أو معلم أو ... في المقابل نجد المقربين والبطانة يقع عليها دور مهم وخطير فيما يتعلق بإنجاز الأعمال وعلى أية وجه يتم هذا الانجاز، وكيف تصطنع المكائد والدسائس التي تحيق بالأبرياء من الناس الذين يقفون دون تحقيق مصالح الطامعين. وتطالعنا قصة الثور والأسد في الباب المسمى بإسميهما في الكتاب بتلك القضية. فالقصة تعد فصل من حياة الإنسان يتكرر في كل زمان ومكان. ولكن المهم في ذلك مدى الوعي بهذا الأمر من قبل صاحب أي سلطة وكيف يتعامل معه... والتربية في كل لحظة لها دور مهم في تكوين الوعي لدى الإنسان في أي موقع كان حاكما أو محكوما، معلما أو متعلما، أبا أو إبنا. وقد روي لنا الكتاب قصة امرأة الاسكافي وما فعلته من خيانة لزوجها وكيف عوقبت امرأة الحجام لمساعدتها وكل ذلك بمرأى من الناسك ثم عرضوا على القاضي (كليلة ودمنة، 1986، 61-62):

"**يقول الناسك**: أيها القاضي لا يشتبهن عليك، إن اللص ليس سرقني، وإن الثعلب ليس الوعلان قتلاه، وإن البغي ليس السم قتلها، وإن امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها. بل نحن فعلنا ذلك بأنفسنا... قال كليلة لدمنة: وأنت أيضا فعلت ذلك بنفسك. قال دمنة: نعم!". فتربية الإنسان وما يمتلك من الوعي وما يصدر عنه من أفعال، يقع عليهم مسئولية توجيهه وحفظ مكانته.

أسس البناء السياسي المرتبطة بالشعب:

يقع عبء اختيار الحاكم على الشعب بما يمتلك من إرادة، وكذا تكون هذه الإرادة عنصرا فاعلا ومؤثرا في نظام الحكم في البلاد الذي يدعو إلى الثورة

على الفساد والأوضاع السيئة في كافة مناحي الحياة ، وانتزاع الحرية المفتقدة. فيرى سعيد رفعت: "أن العوامل التي ساهمت في إنجاح الثورة في الدول العربية بصورة خاصة ترجع إلى ثقل الشعور بافتقاد الحرية في وجدان شعوبها ، وتماسك مجتمعاتها الوطنية ، ودور قواتها المسلحة في حماية الثورة." (رفعت ، 2011 ، 6).

وتتمثل بعض الأسس المرتبطة بالشعب التي أسفر عنها التحليل فيما يلي:

حسن اختيار الحاكم / القائد:

هناك بعض السمات التي إذا وجدت في إنسان لا يصلح حاكماً أو قائداً لعمل ، بل لا يصح أن تكون في مضمون تربية أي إنسان ، ويتطلب الوعي بها لتجنب الأخطاء في اختيار قيادة ما. وقدم كتاب كليلة ودمنة ستة من هذه السمات كما يلي (كليلة ودمنة ، 1986 ، 62-63):

"الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق" .. الحرمان من الأعوان والنصحاء ، وتحزب الناس ووقوع التحارب بينهم ، وأما الهوى فهو الإغرام بالنساء أو الحديث والشرب وما أشبه ، وأما الفظاظة فالإفراط في الشدة حتى يبتلى اللسان بالشتم، واليد بالبطش والضرب. وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من القحط والموت ونقص الثمرات... وأما الخرق فإعمال الشدة في موضع اللين ، والرفق مكان الغلظة".

4- الوعي بإمكانات الذات السياسية أمام صاحب السلطة والوعي بالمواقف قبل العمل حتى يتطابق العمل والفعل مع الفكر:

من الأمور المهمة عندما يعزم الإنسان القيام بأي فعل أن يتحرى عنه من حيث ملابساته وما يترتب عليه ، وهل إمكاناته تسمح بهذا الفعل أم لا خاصة إذا كان يتعلق بشأن الحاكم. وفي هذا يقول كليلة معاتبا دمنة فيما ترتب

على تأليبه للأسد (الحاكم) على "شنزبه "(خصمه) حيث لم يكن حكيما عاقلا فاستحق السخط (كليلة ودمنة ، 1986 ، 898):

"... فإن ذا العقل يفكر في الأشياء قبل ملابستها ، فما رجا أن يتم له أقدم عليه ، وما خاف أن يتعذر عليه انصرف عنه... فإنك تحسن القول ولا تحكم العمل... وقد قيل ليس شيء بأهلك للسلطان ممن كان كذلك... ولا خير في الكلام إلا مع الفعل".

5- الإفادة من الموعظة وتوخي الفهم والوعي السياسي تجاه التعامل مع السلطة:

وفي هذا الأمر حري بالإنسان (الشعب) أن يتعظ ويأخذ بتجارب الآخرين ويحاول التبصر والفهم للمواقف الإنسانية حتى يستقيم حاله ، وأن يعي حقوقه وواجباته ، دون ذلك يعرضه للمشاكل ويضيع عليه فرصا للنجاح في العمل السياسي والنجاة من البلاء. وفي هذا يقول كليلة لأخيه دمنة موضحا له عواقب عدم اتخاذه بالنصح والتعقل في أمره (كليلة ودمنة ، 1986 ، 90):

"إنك أردت ألا يدنو من الأسد غيرك. وإنما السلطان بأصحابه واعوانه كالبحر بأمواجه. ومن الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء والأجر بالرياء ، ومودة النساء بالغلظة ، ونفع المرء نفسه بضر الناس.. وأنا أعرف أن الأمر فيه كما قال الرجل للطائر: لا تلتمس تقويم ما لا يعتدل ، ولا تبصر من لا يفهم".

6- وعي الشعب بحديعة الآخر "الأعداء":

هذا يتطلب الوعي بالعدو الخارجي الذي يريد النيل من هويتنا ، ووجودنا ومكانتنا ، والوعي بالعدو الداخلي الذي يتواصل مع الآخر من أجل الفوز بسلطة

أو مـال أو مكانـة. فـالأول أمـره معـروف ومقاومتـه واضـحة ، أمـا الثـاني فهـو الأصعب"اللامنتمي". فقد يتطلع الإنسان لمكانه أرقي مما هو عليه ويلتمس تقدما في جوانب حياته ، وهذا محبوبا وتحث عليه التربية إذ أن التغيير من أجل الأفضل والارتقـاء بحـال الإنسـان قـد يكـون غايـة مهمـة مـن غاياتهـا. ولكـن الأمـر يتطلـب أن يكون تقدما شريفا ونفعا لا يضر بالآخرين ، وإن استخدم فيه الإنسان الدهاء والحيل فتكون خيرة ومشروعه لا تؤذي أحدا.

وفي هذا يطالعنا المؤلف بقول كليلة لأخيه ضاربا له الأمثال في توضيح أوجـه الضـرر الـتي تعيـق بمـن يسـتخدم الخـدع ويضـر الآخـرين (كليلة ودمنة ، 1986 ، 93):

"... لأن الخديعة والمكر ربما كان صاحبهما هو المغبون... أني لا أحسبك تنجو ، فإنك ذو كونين ولسانين وإنما صلاح أهل بيت ما لم يدخل في مفسد ، وبقاء إخاء الإخوان ما لم يحتل له مثلك".

❖ ثالثاً: بعض القيم والأخلاقيات والحكم والفضائل والقضايا التي كشف عنها التحليل كما يلي:

- حفظ الأسرار. مثال: ص20، 151
- نبذ المحسوبية والمحاباة. ص53
- التصدي للذرائع والدسائس بين الناس. ص62
- الإخاء وكيف يضيع بالخديعة. ص93، 252
- الحذر والحيطة. ص73،27
- الحث على إتباع الحق والعمل به. ص112

- تجريم الكذب والخيانة ومعاقبة الخئون. ص43
- الصدق والوفاء بالعهود. ص76،232
- درء الحسد والحقد على منصب أو غيره. ص77، 209، 250
- الرضي والقناعة في حال السعي والاكتفاء والتماسك. ص28
- الايثار ينجي صاحبه ويعظم فضائله. ص8
- الحزم والفطنة وحسن تقدير الأمور. ص11،12،242
- العدل بين الذات والآخر. ص278

وكل ما سبق من قيم وفضائل يستطيع الإنسان اكتسابها منذ نشأته الأولى خاصة إذا استشعر أهميتها ، فيرى عبد الفتاح تركي (تركي ، 1993، 59-60): "من الممكن أن يتشرب الإنسان القيم المرغوب فيها حينما يلمس أهميتها بشكل عملي. فالحرية والأمانة والديمقراطية.. وغيرها من القيم تصبح من خلال ممارستها مع الجماعة مكونا أساسيا في شخصية الفرد".

بعض القضايا السياسية المتضمنة بالكتاب:

1- قضية تآليه الحاكم:

يحاول ابن المقفع في كثير من المواطن قياس سلوك الملك (الحاكم) على الخلفية الدينية (الإسلام) ، ويحاول المقاربة بين الدين والسياسة ، ليناقش قضية تآليه الحاكم ويفككها ، وهي قضية قديمة وحديثة في آن ، والتي في مجملها تطرح فكرة الإسلام السياسي ، وعلاقة الدين بالدولة.

وفي هذا الصدد يقول الجابري: "أن العقل السياسي العربي مسكون ببنية المماثلة بين الإله والحاكم... هذه المماثلة التي تتحول في الخطاب الأدبي إلى مطابقة

تخلع على الأمر صفات الألوهية مباشرة". (الجابري ، 1990 ، 382). وتناولت عديد من الدراسات الآداب السلطانية وسمات الحاكم وأخضعت كثير من تلك السمات للتحليل: فنجد أبو بكر الطرطوشي يبين فضل الرهبة على الحاكم والمحكوم ، ويشبه الماوردي الملك الذي يفرط في رأفته بالطبيب الذي يرحم العليل من مرارة الدواء فتؤدي رحمته إلى هلكته (العلام ، 2006 ، 150). كما كشف محمد عمارة عن تجريد الإسلام للخليفة (الحاكم) من كل ظل من ظلال الألوهية بقوله:"رأس الدولة فى منهج الإسلام ومثله جهازها ومؤسساتها بشر مجتهد يخطئ ويصيب وليس معصوما لأنه كمجتهد يبذل وسعه وجهده البشري غير معصوم.".(عمارة ، 1991 ، 130). **وتأسيساً على ما سبق يكون كتاب كليلة ودمنة قد ركز في تلك القضية على النقاط الآتية**:

- مكانة ووظيفة الحاكم كمفوض للأمة وليس مفوض إلهي.
- أن الإطار المرجعي للحكم هو المبادئ والشريعة الإسلامية.
- أن للشعب دور في تعديل مسار الحكام.

2- **قضية الاستبداد السياسي.**

ينقل حسن حنفي تعريف الاستبداد فى عرضه لفكر عبد الرحمن الكواكبي في "طبائع الاستبداد ومصارع العباد" على أنه الحكم الذي لا توجد بينه وبين الأمة رابطة معينة معلومة مصونة بقانون ناقد للحكم. ولا عبره فيه بيمين أو عهد أو دين أو تقوى أو حق وشرف أو عدالة ومقتضيات المصلحة العامة" (حنفي ، 2002 ، 30). من ثم تبدو أهمية العدالة في تكوين الدولة وفى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع ، وأهمية النظام السياسي العادل الذي يقيم دولة القانون.هذا والمتقصي لجذور الاستبداد يجد أنه ليس بالقضية

الحديثة بل يمتد إلى عمق الموروث الثقافي. فيقول علي أسعد وطفة: "الثقافة العربية تعاني من العلاقات الاجتماعية التي تأخذ طابع الإكراه والقهر والتسلط ، التي تضرب جذورها في العائلة والمدرسة والحياة العامة". (وطفة ، 1999 ، 23). كما يرى برهان غليون أن: "المحصلة النهائية للاستبداد المزمن وإعادة إنتاجه هي إنتاج مجتمعات تعاني الركود والأزمات الاقتصادية والاجتماعية ، والتفاوت الخطير فى توزيع الثروة الوطنية واتساع فجوة بين الأغنياء والفقراء.ومزيدا من الجماهير المهمشة التي تفقد تدريجيا حسها الوطني والسياسي. وفى إطار ذلك كله فإن السمة الوحيدة الباقية للمجتمع هي أنه مجتمع يفقد تدريجيا السيطرة على شروط بقائه واستمراره ".(غليون ، 2001 ، 129). وترى ثناء عبد الله" أن الاستبداد يخلق ثقافته وهو بذلك قضية سياسية ، وصفة لحكومة مطلقة العنان تتصرف كما تشاء وهو ضد الحرية ، ويسد أبواب المشاركة في إدارة شؤون الحياة وهو حالة مركبة تنعكس على المجتمع والدولة والاقتصاد. وفي ظل التحولات العالمية والثورة التكنولوجية يطرح البعض فرضية أن الاستبداد يشوه الطبيعة الإنسانية التي يراد بناءها ، وجاء الطرح الفكري والأدبي من رواد الأدب كنجيب محفوظ (أولاد حارتنا) وسعد الله ونوس في (الملك هو الملك) وغيرهما (دراج ، 2010 ، 63-64): ليتسألوا هل ينبثق الاستبداد من شخص الحاكم ، أم أنه يأتي من تاريخ سابق عليه ، يحول الظفر بالسلطة إلى ميلاد جديد ، ينقل الحاكم من حاله السواء إلى حاله مشوهة لا شفاء منها؟ وأطمأن ونوس إلى أن تاريخ البنية السلطوية هي التي تمحو الأفراد والمزايا الفردية وتجعل من مختلف

الملوك ملكا واحدا في جميع الأزمنة. ورأي آخرون الجواب في ضعف الطبيعة الإنسانية وفتنة السلطة الكاسحة ، التي تزرع في الحاكم رضا لا يشفيه إلا الموت".

هذا وتعود الهزة السياسية التي يمر بها العالم العربي الآن والذي يطلق عليها الربيع العربي الذي تفجر مؤخرا ، إلى سنوات من المحنة بين النخب الحاكمة والشعوب ، فالحكومات غير قابلة للمراجعة والحكام غير خاضعة للمساءلة ، وانحراف الدولة عن القانون ، واحتكار حزب واحد للسلطة إلى أجل غير مسمى وتزاوج السلطة مع الثروة وتزييف إرادة الشعب وتغييبه. وفى إطار ذلك تم تقييد حريات الشعب وانتهاك حقوقه وهذا حصاد الظلم والاستبداد والقمع. وقد أراد ابن المقفع توعية الشعب في عصره بهذا الاستبداد القابع على حياة الناس ومقدراتهم ، ومحاولة وضع أسس جديدة لتنظيم الملك ، دفع حياته ثمنا له.

3- الوعي الشعبي بأدلة وعلامات الاستبداد واحتكار ومطلقة السلطة للحاكم:

هناك علامات مادية تسلطية ، وأخرى معنوية ورمزية تبدأ من أبسط الأمور إلى أقصاها ، في تسلط السلطان (الحاكم) على رعيته من خلال الضرائب الباهظة أو أخذ ما لا يستحق من أموال ، أو تسهيل الحصول على هذه الأموال من الآخرين واستبداده بالشعب ، وغيرها. **وقد لخص عز الدين العلام ، علامات الاستبداد فيما يلي** (العلام ، 2006 ، 122-133):

- **في شخص السلطان**: النظر للسلطان على أنه يختلف عن سائر الناس ، لا يدين بشخصه أو ملكه لأحد ، فريد من نوعه ، طبيعته الحقيقية كلها عدل ، متجرد من كل ضرورات ومتطلبات علاقات الرحم ، ولا مجال للصداقة معه ، فهو كما يرى الجاحظ متفرداً اسماً ولباساً ، ومسكناً.

- **المجلس السلطاني**: يري "العلام" أن مراسم المصاحبة لجلوس السلطان لخواصه لا تمثل طقوسا شكلية بل هي في جوهرها نظام سلطوي وأداة هيمنة. فالرعية بعامتها وخاصتها ، تعتقد فيما تشاهد ، فالرموز والعلامات وغيرها تلعب دورا في نشر ظلال السلطة.

- **لهو السلطان**: اللهو الملكي كما يسميه الجاحظ ، ليس محل إجماع ، أو هو أمر يكون في غالب الأحيان في حكم المسكوت عنه ، وهناك اتفاق عام على أن ممارسة اللهو بلا حدود أو الإفراط فيه يؤديان إلى ضياع السياسة وخراب الملك مما يعني ضرورة الاعتدال.

- **المظهر السلطاني (الظهور)**: تتخلل الموكب السلطاني كل علامات السلطة وشارات الرهبة وأعوان يمنعون العامة من سلوك الطرقات وغيرها من علامات تجعل من السلطة شيئا ملموسا واضحا للعيان ومن السلطان رمزا للغني والرخاء والنبل.

كما أوضح محمد عمارة أن فقهاء النظام السياسي لم يتفقوا على مصدر واحد للسلطة ولكنهم متفقون على وجوبها ، وأن الحكم بغيرها لا يقوم على أساس الشرعية ، وبدونها يفقد النظام مبررات وجوده. واعتبرها عمارة المرجع الذي يكسب القائمين على الحكم حق الطاعة ، كما يؤكد على أن الأمة هي مصدر السلطة بقوله: "إن القواعد التي تجعل الخلافة بالبيعة والعقد والاختيار من ممثلي الأمة والتي تجعل للأمة الحق في مراقبة الحاكم ومحاسبته ، بل توجب ذلك عليها كما توجب أيضا عزله ولو بالقوة ، إن هو أخل بشروط عقد التفويض ، وهذه القواعد

الـتي قررهـا الفكـر السياسـي الإسـلامي والـتي تعـني أن الأمـة مصـدر السـلطات (عمارة ، 1988 ، 57).

إن العدل أساس الملك ، ومجالس رفع المظالم هي مناسبة لمعاينة هذا المبدأ بل إنها من أعظم قوانين العدل التي تسمح بالنظر في الشكايات وقضاء الحاجات والفصل بين الخصماء والانتقام من الظلمة الغشماء ، وقمع الظالم وقهره ، وحماية المظلوم ونصرته. وما سبق من سمات وعلامات ترتبط بالحاكم تصب في إبراز التفرد والقدرة الفائقة وغيرها من سمات أضفت على الحاكم صفة الإلوهية (تآليه الحاكم) مما يتطلب وعي الشعب بها ومقاومتها.

4- قضية الصراع بين الثقافة والسلطة.

وتتضمن بعض القضايا الفرعية مثل: (التقرب إلى السلطة للانتفاع منها أو نقدها وكشف مساوئها- الفتنة والتأليب بحيل عديدة أبرزها زرع الفرقة "فرق تسد"-صلاح أو فساد بطانة الحاكم والمقربين والحذر من عدمه من أهل النميمة والسوء.). ولكن الدولة القوية هي التي تستعين بالثقافة والمثقفين وأصحاب الرأي ولا تتصارع معهم. فترى أميرة مطر في الدولة القوية وأهمية العقل والفكر فيها ما يلي: (النشار، 2003 ، 186):" أن الفلسفة السياسية معنية بإخضاع القوة للعقل ، وتنظيم أمور الدولة على أساس من التوفيق بين ضرورة أن تكون الدولة قوية ، وضرورة أن يحكمها التعقل والحكمة ، فبهما تتحقق الدولة المثالية". وقد كانت قصة عبد الله بن المقفع ، وإنهاء حياته ؛ وجه بشع للصراع بين العقل والفكر الثقافة والإبداع من ناحية واستبداد السلطة وطغيانها من ناحية أخرى كما وضحها البحث سابقا.

5- قضية تملق السلطة:

طرفي هذه القضية هما المتملق للسلطة المتقرب إليها ، وصاحب السلطة ، الأول له أهداف محددة في تقربه وتملقه للسلطة. والطرف الثاني له سمات معينة قد يمتلك سمات القائد والحاكم (صاحب سلطة) المتسم بالوعي وقد يكون من أصحاب السلطة سيئ الحال قليل العقل بعيد عن أصحاب الرأي والعلم ، فيحكم بهوى ويتحرك في ملكه وفيما يحكم بشخصانية وذاتية فيهوى حكمه. ويطالعنا كتاب كليلة ودمنة من آن لآخر بهذه القضية التي يعتبرها أحد أهم القضايا التي تربط الحاكم (أو أي صاحب سلطة) بالرعية ، وتؤثر بشكل كبير على مجريات الأمور والقرارات في الدولة أو في أي تجمع بشري.

فيقدم لنا ابن المقفع إبني آوى كليلة ودمنة وهما يتحاوران ليجسدان هذا الحوار البشري المتكرر عبر التاريخ على ألسنتهما ، لينقسما إلى قسمين أحدهما يمثل صوت العقل والوعي ناصحا وإن كان به ترددا (كليلة) والآخر يمثل المتملق للسلطة ، شره النفس ، بعيد الهمة ، وقليل الرضي (دمنة) (كليلة ودمنة ، 1986 ، 48-50): ويرتبط بذلك قصة الرضي والقناعة " **قال كليلة**:

". فراجع عقلك ، وأعلم أن لكل إنسان منزلة وقدرا ، فإذا كان في منزلته التي هو فيها مكتفيا متماسك الحال في أهل طبقته ، كان حقيقا أن يقنع ويرضى... أما إذا كان هذا من رأيك فإني أحذرك صحبة السلطان ، فإن في صحبة السلطان خطرا عظيما... لا يسلم منها إلا القليل... وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الوعر الذي فيه الثمار الطيبة ، وهو معدن السباع المخوفة."

ما سبق يدور في إطار رحلة حياة الإنسان والصراع بين الرضي والقناعة وبين الطموح الجارف والطمع في منزلة أعلى بكل السبل. من حق الإنسان التطلع إلى

المنازل العلى والمكان الأرقى والتربية عليها أن تبني ذلك في الإنسان ، إلا أن ذلك يتطلب الوعي بإمكاناته وأدواته ومشروعيتها في الوصول لذلك ، ولشرف الغاية التي يتطلع إليها ليسعى لتحققها ، وما سوف يترتب على ذلك من منافع أو أضرار له وللآخرين. وهذا يعني أن التربية تربي الإنسان ليس لذاته فقط بل ليحيا مع الآخرين ويتعايش معهم.

obeikan.com